

مهذب

# الشيعة والتصحيح

## الصراع بين الشيعة والتشييع

للعامة الدكتور  
ثقة الإسلام موسى الموسوي

تهذيب

سعد بن عبد الرحمن الحصين



## الإهداء

هذا كتاب يدافع عن الإسلام والإنسان والعقل  
ابتغيت به وجه الله ورضاه وعونه وغفرانه  
وقصدت به الشيعة في كل زمان ومكان  
فإلى كل من يتبع نداء التصحيح ويسعى لأجل  
مبادئه وأهدافه أهدي هذا الكتاب



## تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن أتبع هداه.  
أما بعد : فقد ولدت ونشأت وترعرعت في بيت الزعامه الكبرى للطائفة  
الشيعة ودرست وتأديت على يد أكبر زعيم ديني عرفه تاريخ التشيع منذ الغيبة  
الكبرى<sup>(١)</sup> وحتى هذا اليوم، وهو جدنا الإمام أبو الحسن الموسوي.

وفي مثل هذه البيئة كنت أعيش آلام الخلافات المريعة بين الشيعة والسنة  
وأشاهد عواقبها الوخيمة عن كثب وفي ظل خطوات جريئة وعزومة كان جدنا  
الإمام يخطوها لتخطي الصعوبات في إرساء العلاقات الصحيحة بين الشيعة والسنة  
للوصول إلى الوحدة الكبرى بين الطائفتين والتي كانت تصطدم بالسياسات  
الاستعمارية تساندها عقول متحجرة وأناس متعصبون ومتاجرون بالطائفية  
البغيضة، وبدأت أدرك خطورة المهمة وقداستها في الوقت نفسه.

وقد زاد عزمي قوة عندما عرفت أن السبب في قتل والدي بين صلاة المغرب  
والعشاء في الحضرة العلوية في النجف ، على يد مجرم يجهل دينه، إنما كانت خطة  
شيطانية لكي تشني والده السيد أبا الحسن عن خطواته الإصلاحية. ولكن السيد أبا  
الحسن احتمل المصيبة صابراً محتسباً لله وضرب مثلاً عظيماً في تلقين المصلحين  
درسا لا زال التاريخ الشيعي يذكره ألا وهو العفو عن القاتل الذي قتل فلذة كبده  
وأعز الناس إلى قلبه، وذلك ليثبت أن قلب المصلح لا تزلزله العواصف ولا تضعفه  
المصاعب ولا تتحكم فيه الأحقاد والثارات وأنه يبقى كالطود الشامخ يذود عن  
العقيدة التي يريد إرساءها.

وبعد كل هذا كان من الطبيعي أن تتكون لدي فكرة الانطلاق نحو تصحيح  
الشيعة في بعض عقائدها وأعمالها ولا سيما تلك التي سببت الخلاف مع أهل السنة  
والتي كانت بحد ذاتها تتناقض مع الإسلام والعقل وهي كما أعتقد كانت ولم تنزل  
وبالأعلى المذهب الشيعي حيث أدت إلى تشويه سمعته ومسح معالمه في العالم كله.

١- الغيبة الكبرى تعني في اعتقاد الشيعة الإمامية غيبة الإمام المهدي الثاني عشر عام ٣٢٩ هجري. راجع فصل  
الإمام المهدي.

ولا شك أن عرض القضية لا يكفي -وحده- لحل المعضلة بل لا بد من تقديم حلول عملية أطلب من الشيعة في كل أرجاء الأرض أن يلتزموا بها إذا أرادوا خير الدنيا والآخرة معاً، وقد وصلت إلى نتيجة حاسمة في تباعي للخلاف بين الشيعة الإمامية والفرق الإسلامية الأخرى هي أن الخلاف بينهما ليس بسبب الخلافة بعد رسول الله ﷺ وهل الامام علياً أولى بها من غيره، فالشيعة الزيدية وهي تؤلف طائفة كبيرة تُعدّ بالملايين تعتقد بأحقية علي بالخلافه بعد الرسول الكريم ولكن الوثام والتعايش يسود بينها وبين أهل السنة والجماعة. فالسبب الأساسي في الخلاف بين الشيعة الإمامية والسنة ليس هو موضوع الخلاف بل هو موقف الشيعة من الخلفاء الراشدين وتجريحهم إياهم، الأمر الذي لانجده عند الشيعة الزيدية وبعض الفرق الأخرى ولو اكتفت الشيعة الإمامية بسلوك الزيدية لقلت الخلافات ولضاقت مساحة الشقاق، ولكن الشيعة الإمامية وقعت في الخلفاء الراشدين الثلاثة تجريحاً وانتقاصاً فكانت الفتنة.

وقد كنت أدعو الله آناء الليل وأطراف النهار أن يلهمني العلم والبصيرة ويمنحني القوة والتوفيق لأداء رسالة التصحيح التي كنت أصبو إليها منذ سني الشباب فكانت النتيجة كتابي هذا: (الشيعة والتصحيح: الصراع بين الشيعة والتشيع) الذي أقدمه اليوم إلى الشيعة في كل مكان.

إنه نداء للشيعة مبعثه الإيمان المطلق بالله وبرسالة الإسلام الخالدة وبقوة المسلمين وكرامة الإنسان. إنه نداء يدعو لمحاولة إنهاء الخلاف الطائفي بين الشيعة والفرق المسلمة الأخرى. إنها صرخة لا يقاظ الشيعة من نوم عميق دام ألفاً ومائتي عام، إنها قصة الصراع المرير بين المسلمين حتى يومنا هذا. إنه نداء العقل والإيمان إلى الشيعة كي تنفض عن نفسها غبار السنين وتثور ثورة لا هوادة فيها ولا انتظار على تلك الزعامات المذهبية التي سببت هذا التخلف الكبير في الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية. وهكذا يدفني اعتقادي وواجبي أن أوصي ملايين الشيعة بقراءة هذا الكتاب: ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المندرين﴾.

## الإمامة والخلافة

بدأ الصراع بين الشيعة والتشييع عندما حرفت الشيعة معنى التشيع من حب الإمام علي وأهل البيت إلى ذم الخلفاء الراشدين الثلاثة وتجريحهم بصورة مباشرة ، وتجريح الإمام علي وأهل بيته بصورة غير مباشرة.

### عقيدة الشيعة الإمامية في الخلافة

كلما تعمقت في عقائد الإمامية أجد أن هناك هوة عظيمة تفصل بين الشيعة والتشييع قد تصل في بعض الأحيان إلى التناقض الصارخ.

وكلما تعمقت في تاريخ الصراع بين الشيعة والتشييع تتجلى أمامي العصور الثلاثة التي انبثقت فيها هذا الصراع مبتدئاً بالعصر الأول وهو عصر ظهور الصراع الفكري بعد ما يسمى بالغيبة الكبرى الذي مهد الطريق للعصر الثاني وهو ظهور الدولة الصفوية على يد مؤسسها الشاه اسماعيل الصفوي في عام ٩٠٧ هجري وتأسيس الدولة الشيعية في إيران، ومن ثم العصر الثالث والأخير وهو عصر الصراع الذي نشأه في حياتنا المعاصرة بين الأفكار الشيعية الحديثة والتشييع ، تلك الأفكار التي عصفت بالمجتمع الشيعي وأدت إلى نتائج حزينة خطيرة.

ولكي نضع النقاط على الحروف في رسالتنا الإصلاحية هذه لا بد من طرح الأفكار بصورتها الحقيقية ومن ثم إنارة الطريق لكي يكون القارئ على بينة من أمره.

الإمامة هي الحجر الأساسي في المذهب الشيعي الإمامي وهكذا في المذهب الزيدي والإسماعيلي<sup>(١)</sup> ومنها يتفرع كل ما هو مثير للجدل مع الفرق الإسلامية الأخرى. فالشيعة الإمامية تعتقد أن الخلافة لعلي بعد رسول الله ﷺ ومن بعد علي لأولاده حتى الإمام الثاني عشر الذي هو محمد بن الحسن العسكري الملقب بالمهدي، وأن رسول الله ﷺ أُلح إلى خلافة علي من بعده في مواطن كثيرة ونص على ذلك في مواطن أخرى أشهرها في موقع يسمى (غدِير خَم) عند رجوعه من

١- الزيدية تعتقد أن الإمامة تنفرع من زيد بن علي بن الحسين بن علي، والإسماعيلية تعتقد أن الإمامة تنفرع من اسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق.

حجة الوداع حيث عقد البيعة لعلي وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

كان ذلك في يوم الثامن عشر من ذي الحجة عام (١٢) بعد الهجرة والشيعه تحتفل بهذا اليوم في كل مكان توجد فيه وتطلق على هذا اليوم إسم (عيد الغدير). أما الفرق الإسلامية الأخرى فتري أن الرسول الكريم ﷺ ذهب إلى الرفيق الأعلى ولم يستخلف أحداً من بعده بل ترك الأمر شورى بين المسلمين.

هذا هو ملخص الخلاف بين الفريقين. ولكل فرقة آراؤها وأدلتها حيث ألف علماء الفريقين في هذا الموضوع عشرات الكتب المطولة والمختصرة، ولم تنفع تلك الكتب الكثيرة في زحزحة الشيعة عما تعتقده في الخلافة أو زحزحه السنة عما تراه أولى بالاتباع.

غير أن المشكلة القسوى هي أن هذا الخلاف الفكري لم يتوقف عند هذا الحد بل اتخذ شكلاً خطيراً كلما بعد العهد عن عصر رساله. ولو أن الخلاف بقي محصوراً عند هذا الحد لكان الخطب هيناً، ولما عانى العالم المسلم في تاريخه الطويل كثيراً من المحن والمصائب التي حلت به بسبب فكرة الخلافة والخلاف فيها. الخلاف الفكري تجاوز حدود البحث العلمي والإختلاف في الرأي بل اتخذ طابعاً حاداً وعنيفاً عندما بدأت الشيعة تجرح الخلفاء الراشدين وبعض أمهات المؤمنين بعبارات قاسية وعنيفة لا يجوز أن تصدر من مسلم نحو مسلم ناهيك أن تصدر من فرقة إسلامية نحو صحابة الرسول ﷺ وأزواجه، صحابة لهم مكانة كبيرة في قلوب المسلمين، وأزواج للنبي سمانه الله بأمهات المؤمنين.

وهنا ظهر على ساحة الخلاف عدم التكافؤ بين الفريقين في طريقة التفكير، فالفرق الإسلامية الأخرى تحبّ علياً وتكرمه شأنه شأن الخلفاء الذين سبقوه وتحترم أهل بيت رسول الله ﷺ وتصلي عليهم في كل صلاة مفروضة أو نافله، ولكن الشيعة لها موقف آخر من خلفاء المسلمين، موقف فيه العنف والقسوة والكلام الجارح .

فكانت النتيجة ظهور رد فعل عنيف من قبل علماء السنة للدفاع عن أعز



وأعظم خلفائهم. فألف ودون كتاب السنة وعلمائها في الشيعة الكتب الكثيرة معيرة إياها بالكفر مرة وبالخروج عن الإسلام مرة أخرى. وهكذا شغلت هذه القضية حيزاً كبيراً في حياة الفريقين.

لكن أسوأ ما في الأمر الطريقة التي اتبعتها الشيعة في معالجتها لمشكلة الخلافة فهي تتناقض كل التناقض مع سيرة الإمام علي وسير أولاده من أئمة الشيعة. ولذلك تملكني الحيرة والدهشة عندما أرى أن شعار الشيعة هو حب الإمام علي وأولاده ولكنهم يضربون عرض الحائط بسيرة علي والأئمة من ولده.

ولأنني أتحدث مع الشيعة بلغتهم وفي نطاق معتقداتهم كي تكون حجة عليهم، فلا بد من القول بأنني أواجه أمرين متناقضين أحدهم التشيع والآخر الشيعة. ومن هنا بدأت أستنتج أن ذلك الصراع الذي حدث بين الشيعة والتشيع بعد الغيبة الكبرى مباشرة هو السبب الأساسي لكل الانحرافات التي حدثت في الفكر الشيعي إلى يومنا هذا، كما إنني أرى أن ذلك الانحراف سبب في الشقاق بين الشيعة والسنة وهو ما سنفصله في هذا الكتاب في مكانه المناسب .

### فكرة الخلافة في عهد الرسول ﷺ

لو نظرنا إلى موضوع الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ لوصلنا إلى نتيجة مؤكدة لا يختلف عليها اثنان ، هي إن فكرة الأفضلية لخلافة النبي الكريم ظهرت بعد وفاته مباشرة، فهذا هو العباس بن عبد المطلب كما يقول بعض المؤرخين يخاطب الإمام علياً عندما كان مشغولاً بتجهيز النبي صلى الله عليه وسلم ودفنه .

«أعطني يدك أبايعك حتى يقول القوم عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله».

فيقول له الإمام : «وهل يطمع فيها طامع غيري؟ ثم أنني لا أريد أن أبايع من

وراء رتاج».

واجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة لينظروا في أمر الخلافة وقالت

الأنصار للمهاجرين : «منا أمير ومنكم أمير»

وكادت تحدث فتنة بين المجتمعين ولكن عمر بن الخطاب حسم الأمر وبايع أبا

بكر فبايعه المسلمون بعد ذلك وترك سعد بن عبادة شيخ الخزرج السقيفة غاضباً

لأنه كان يرى نفسه أولى بالخلافة من غيره، وتخلف الإمام علي عن البيعة بعض الوقت إلا أنه بايع الخليفة الجديد أبا بكر فيما بعد.

ومن هنا يمكن القول إن فكرة التشيع لعليّ بالمعنى الذي أشرنا إليه ظهرت بعد وفاة النبي ﷺ واستمرت حتى القرن الثالث الهجري حيث كان التشيع يعني أن الإمام علياً أولى بالخلافة وأحق بها من غيره ولكن المسلمين استجابة لأمر الله تعالى في قوله: ﴿وَأمرهم شورى بينهم﴾ [الشورى: ٣٨]، ارتضوا أبا بكر خليفة والإمام عليّ ارتضاه كما ارتضاه غيره وبايعه كما بايعه غيره، وهكذا كان موقفه من الخليفين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فبايعهما وأخلص لهما في المشورة والرأي.

### التشيع في القرن الثاني هجري

منذ أوائل القرن الثاني للهجرة أخذت فكرة التشيع تمثل مذهباً فقهياً سمي مذهب أهل البيت، وقد تجلّى هذا المذهب في زمن انبثقت فيه المذاهب الفقهية الإسلامية الأخرى كالمذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، وتجلت مدرسة أهل البيت في فقه الإمام الصادق الإمام السادس للشيعة الإمامية. وقد كانت الفكرة التي تساند مذهب أهل البيت هي الفكرة القائلة بأنه إذا كان الإمام عليّ أولى بالخلافة من غيره فأولاده ومن ثم حفيده الإمام جعفر بن محمد الصادق أجدد بأن يتبع في مسائل الدين من غيره من الفقهاء. وهكذا ظهر المذهب الفقهي الجعفري إلى الوجود في عهد الإمام الصادق في المدينة النبوية آنذاك. ولكن التشيع لعلي وأهل بيته بدأ يأخذ شكلاً خطيراً بعد مقتل الإمام الحسين الذي أحدث هزة عنيفة في العالم المسلم أدت إلى سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية. وكما نعلم فقد حدثت ثورات متتاليات باسم التشيع لعلي وأهل بيته منها ثورة المختار وثورة مصعب بن الزبير وثورة زيد بن علي بن الحسين. كما أن الثورة التي قطف ثمارها العباسيون وأطاحت بالخلافة الأموية في المشرق إلى الأبد قد بدأت باسم التشيع لأولاد علي وأهل بيت رسول الله ﷺ، وكان أبو مسلم الخراساني يدعو لأهل البيت في إبان القيام بثورته ولكنه انحاز إلى العباسيين في قصة جاء ذكرها في كتب التاريخ.

ونستنتج من كل هذه المقدمة أن فكرة التشيع كانت موجودة في القرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة ، وهذه الفكرة كانت تنحصر في النقاط التالية :

أولاً: أن علياً أولى بالخلافة من غيره ولكن المسلمين بايعوا الخلفاء الراشدين الثلاثة قبله .

ثانياً: إظهار العداء للأمويين وذلك لموقف معاوية من علي ومقتل الإمام الحسين بعد ذلك .

ثالثاً: الرجوع إلى أهل البيت في الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية .

رابعاً: أهل البيت ولا سيما الأئمة من أولاد الحسين أولى بالخلافة من الأمويين والعباسيين .

### بداية الإنحراف في الفكر الشيعي

وبعد الإعلان الرسمي عن غيبة الإمام المهدي في عام (٩٢٣) هجري حدثت في الفكر الشيعي أمور غريبة أدعوها بالصراع بين الشيعة والتشيع أو عهد الإنحراف، وكان أول هذه الأمور في عملية الانحراف الفكري ظهور الآراء القائلة بأن الخلافة بعد الرسول ﷺ كانت في علي بالنص الإلهي، وأن الصحابة عدا نفر قليل منهم خالفوا النص الإلهي بانتخابهم أبا بكر. كما ظهرت في الوقت نفسه آراء أخرى تقول إن الإيمان بالإمامة مكمل للإسلام، حتى أن بعض علماء الشيعة أضافوا الإمامة والعدل إلى أصول الدين الثلاثة التي هي: التوحيد والنبوة والمعاد، وقال بعضهم بأنها من أصول المذهب لا من أصول الدين، وظهرت روايات تنقل عن أئمة الشيعة فيها تجريح الخلفاء الراشدين الثلاثة وبعض أزواج النبي ﷺ .

ومن الجدير بالذكر أنه حتى في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وحتى بعد مقتل الإمام الحسين و ظهور الثورات الداعية إلى الأخذ بالثأر، وفي العهود التي كانت التشيع يعصف بالخلافة الأموية ويقصم ظهرها ويمهد الطريق للخلافة العباسية لم نجد أثراً لدى المتشيعين لعلي وأهل بيته للآراء الغريبة التي ظهرت فجأة في الجماعة المسلمة بعد ما سمي بالغيبة الكبرى ، تلك الآراء التي ساهم بعض رواة الشيعة وبعض علماء المذهب في بثها ونشرها وغرسها في عقول أبناء الشيعة .

وظهرت في الوقت نفسه فكرة (التقية) التي كانت تأمر الشيعة بأن تعلن شيئاً وتضمر شيئاً آخر وذلك لحماية الآراء الحديثة التي كانت بحاجة إلى الكتمان لحمايتها من السلطة الحاكمة. ولكي يكون لهذه الآراء الغريبة رصيد ديني لا يجوز التشكيك فيه نسب رواة الشيعة تلك الروايات الغريبة إلى أئمة الشيعة ولا سيما إلى الإمامين الباقر والصادق. ولتثبيت صحة تلك الروايات ظهرت فكرة (عصمة أئمة الشيعة) في ذلك العهد لكي تكون رصيماً آخر يجعل من تلك الروايات الغريبة روايات مقدسة لا تخضع للنقاش والجدل والبحث والنقض.

وقد أفردنا لتلك الآراء الغريبة الدخيلة فصولاً خاصة في هذا الكتاب ، أما الآن فلنعد إلى مبحث الإمامة والخلافة لكي نناقش المتغيرات التي أحدثتها الرواة وعلماء المذهب فيها بعد الغيبة الكبرى .

إن المتتبع المنصف للروايات التي جاء بها رواة الشيعة في الكتب التي ألفوها بين القرن الرابع والخامس الهجري يصل إلى نتيجة محزنة جداً وهي أن الجهد الذي بذله رواة الشيعة أساء إلى الاسلام والتشيع. وعندما نمنع النظر في الروايات التي رووها عن أئمة الشيعة وفي الابحاث التي نشروها في الخلافة وفي تجريحهم لأكثر صحابة الرسول ﷺ ونسفهم الوحدة الاسلامية التي سادت في عهد النبوة لكي يثبتوا أحقية عليّ وأهل بيته بالخلافه ويثبتوا علو شأنهم وعظيم مقامهم نرى أن هؤلاء الرواة - سامحهم الله - أساءوا للإمام علي وأهل بيته وهم لا يشعرون.

ماذا تعني هذه الروايات التي نسبها هؤلاء إلى أئمة الشيعة وهم صناديد الإسلام وفقهاء أهل البيت؟. وماذا تعني هذه الروايات التي نسبوها إلى أئمة الشيعة وهي تتناقض مع سيرة الإمام علي وأولاده الأئمة وكثير منها يتناقض مع العقل المدرك والفترة السليمة؟.

وأبدأ بالخلافة لكي نرى أن ما رووه في حق الخلفاء وصحابة الرسول ﷺ يصطدم بسيرة الإمام علي وأهل بيته، ونرى بعد ذلك كيف أن هؤلاء الرواة وبعض علماء الشيعة ناقضوا مواقف الإمام علي والأئمة من بعده.

## موقف الإمام علي من الخلافة

قلنا قبل قليل أن التشيع كان يعني حب الامام علي وأهل بيته وإعطاءه حق الأولوية في الخلافة، وإعطاء أولاده مثل هذا الحق من بعده ولا أظن أن هناك أحد لا يعرف الأسباب الدافعة إلى هذا الاعتقاد فالامام عليّ نشأ في بيت الرسول ﷺ وهو ابن عمه ومن أول من آمن به ومات راضياً عنه، وهو زوج الزهراء وأبا الحسين وبطل المسلمين، ودافع عن الرسول الكريم ورسالته بقلبه ولسانه ويده.

فمن الطبيعي أن يرى عليّ نفسه أولى بخلافة محمد ﷺ ومن الطبيعي أيضاً أن تجد الفكرة لها مؤيدين وأنصاراً .

## الإمام علي يؤكد شرعية بيعة الخلفاء

ولكن هل يعني أن هناك نصاً إلهياً بتعيين علي لخلافة الرسول ﷺ؟ الامام علي كان يقول : لا نص عليه من السماء، وصحابة علي الذين عاصروه كانوا يعتقدون بذلك أيضاً ، وقد استمر هذا الاعتقاد حتى عصر الغيبة الكبرى وهو العصر الذي حدث فيه التغيير في عقائد الشيعة وقلبها رأساً على عقب.

ومرة أخرى أقول إن هناك فرقاً كبيراً بين أن يعتقد الإمام علي والذين كانوا معه أنه أولى بخلافة الرسول الكريم ﷺ من غيره ، وبين أن يعتقد أن الخلافة حقه الإلهي وأنها اغتصبت منه. فلنستمع إلى الإمام علي وهو يحدثنا عن هذا الأمر بكل وضوح وصراحة ويؤكد شرعية اختيار الخلفاء وعدم وجود نص من الوحي في أمر الخلافة:

«إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى، فان خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه. فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين» (نهج البلاغة ص ٧، ج ٣).

إن وجود نص إلهي في موضوع الخلافة يصطدم بخمس عقبات رئيسية كل

واحدة منها تكفي لهدم الفكرة من أساسها، وهذه العقبات الخمس هي:

أ- صحابة الرسول ﷺ وموقفهم من الخلافة.

ب- أقوال الإمام عليّ في الخلافة.

ج- بيعة الإمام عليّ للخلفاء .

د- أقوال الإمام في الخلفاء الراشدين.

هـ- أقوال أئمة الشيعة في الخلفاء الراشدين.

### أ- صحابة الرسول ﷺ وموقفهم من الخلافة

هناك صورة مشرقة نيرة لهذه الصفوة المختارة من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الكريم تعني كل كلمة منها صفاء ذلك العصر وعظمت وجلالته وروعته وإخلاص الصحابة وتفانيهم في الاسلام وفي الدفاع عن الرسول ﷺ ولنقرأ معا هذه الآية الكريمة:

قال الله تعالى : ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوارة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وهناك وصف آخر لصحابه رسول ﷺ من كلام الإمام عليّ نثبته هنا:

«لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً وقد باتوا سجداً وقياماً يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب» (نهج البلاغة ص ١٩، ج ٢).

وهنا لا بدّ من هذا السؤال: هل مثل هؤلاء الصحابة الذين أثنى عليهم الله هذا

الثناء العظيم ومدحهم الإمام عليّ بهذا الوصف البليغ، يخالفون النص الإلهي في أمر تشريعي وهم حماة التشريعات الإلهية ومنفذيها، وقد ضحوا بالغالي والرخيص لأجلها، ولا سيما لو كان لذلك التشريع صلة مباشرة بمصالح المسلمين ومستقبل أمرهم وإرساء القواعد التي بعث رسول الله ﷺ لإرسائها؟

نقول هذا ونحن نؤدي رسالة التصحيح في هذا الكتاب بعيدة عن الأهواء والعصبيات وتقاليد الآباء والأمهات، إنها رسالة موجهة إلى الطبقة المثقفة وأصحاب الأفكار الحرة من أبناء الشيعة الذين عقدت الآمال في السير وراء التصحيح.

### ب- أقوال الامام عليّ في الخلافة

يقول الإمام عليّ: «دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان. واعلموا أنني إن أحببتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعليّ أسمعكم وأطيعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً» (نهج البلاغة ص ١٨٢، ج ١).

ولنقرأ معاً نصوصاً أخرى للإمام فيها وضوح وصراحة في رغبته عن الخلافة وأنه كان يدفعها عن نفسه دفعاً. ولم يذكر الإمام أن هناك نصاً من الله وتشريعاً إلهياً ورد في الخلافة [ولو كان لما وسعه إلاّ إعلانه وقبوله]. يقول الامام: «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتوني إليها وحملتوني عليها، فلما أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته وما استسن النبي ﷺ فاقتديته» (نهج البلاغة ص ١٨٤، ج ٢).

ويقول في مكان آخر:

«فأقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون: البيعة البيعة، قبضت كفي فبسطتموها، ونازعتكم يدي فحاذيتموها» (نهج البلاغة ص ٢٠، ج ٢).

ولنقرأ أيضاً ما قاله في حكم ولاية الخلفاء الذين سبقوه حتى نعلم مدى إيمان الإمام واعتقاده بصحة بيعتهم.

يقول الامام:

«إنها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا يستأذن فيها الخيار» (نهج البلاغة ص ٨، ج ٣).

ويقول في مكان آخر [مخاطباً المتشيعين له]:

«ألا وإنكم قد نقضتم حبل الطاعة وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأضراب الجاهلية. فان الله سبحانه وتعالى قد امتن على جماعة هذه الامة فيما عقد بينهم من حبل الالفة التي ينتقلون في ظلها ويأوون إلى كنفها بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة، لأنها أرجح من كل ثمن وأجل من كل خطر. واعلموا بأنكم صرتم بعد الهجرة أعراباً وبعد الموالاة أجزاباً، ما تتعلقون من الاسلام إلا باسمه ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه» (نهج البلاغة ص ١٥٤، ج ٣).

ولنستمع إلى الإمام مرة أخرى وهو يؤكد شرعية الخلافة والإمامة بعد أن اجتمع عليها أهل الحل والعقد] حيث يجب على الأكثرية الغائبة طاعة الخليفة [الذي انعقدت له البيعة]: «ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى يحضرها عامة الناس فما إلى ذلك سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار» (نهج البلاغة ص ٨٦، ج ٢).

### ج- بيعة الإمام علي<sup>عليه السلام</sup> للخلفاء قبله والتأكيد على شرعيتهم

والآن لا بد أن نعرض على موضوع آخر وهو لو كانت الخلافة له بنص إلهي، هل كان يليق بالإمام أن يهمل هذا النص ويباع الخلفاء ويرضخ لأمر [يخالف شرع الله] أم يصّر على العمل به؟

لقد علل علماء الشيعة في الكتب العديدة التي ألفوها بيعة الامام علي للخلفاء بأمرين، الأول: أن الإمام علياً بايع الخلفاء خشية من الفرقة التي قد تؤدي إلى هدم الاسلام، فلذلك ترك حقه ورضخ لخلافة خلفاء غصبوا حقه. والثاني: أنه بايع الخلفاء خشية منه على نفسه وعملاً بالتقية.

أما تعليل بيعة الامام بالخوف على الإسلام من الضياع لأن الناس كانوا حديثي



عهد بالاسلام ، فيدحضه بيعة علي لعثمان التي كانت في عصر امتدت فيه الخلافة الاسلامية من الشرق حتى بخارى ومن الغرب حتى شمال أفريقيا، وكانت الخلافة تحكم أكبر رقعة من الأرض المسكونة في ذلك العصر.

وإن من أغرب الأمور وأعظمها خطراً في مبحث الخلافة وإن لم يذكره أحد ممن أسهب فيها من رواة الشيعة وعلمائها ومن الفرق الاسلامية الأخرى: أنهم لم يبحثوا الاستخلاف الإلهي بصورة مستقلة عن أحقية الإمام علي أو عدم أحقية عن الخلفاء الذين سبقوه بل ربطوه ربطاً وثيقاً بالأشخاص والأسماء، لأنه لو بحث بصورة مستقلة عن شخص علي وأولاده لاصطدم بعقبة كبيرة تنسف كل القواعد التي بنيت في عصر الصراع بين الشيعة والتشيع [حول اغتصاب حق علي في الخلافة].

ولو بحث موضوع الخلافة في الاسلام مجرداً من الأسماء والأشخاص لما واجه المسلمون ما واجهوه من الحيرة والضياع والشقاق . ولو جاء في الإمامة أو الخلافة عامة بعد الرسول ﷺ نص إلهي في الكتاب أو السنة لكانت كل المبررات والأقوال التي ذكرتها رواة الشيعة وعلماء المذهب الامامي عن مبايعة الإمام علي الخلفاء الذين سبقوه للمصلحة أو للتقية تذهب أدراج الرياح وتصبح هباءً منبثاً، لأن الخلافة عندما تكون بنص إلهي وأمر من الله لا يستطيع أحد مهما كان مقامه أو منزلته في الاسلام أن يخالفها أو يتنازل عنها.

وإذا كان محمد وهو رسول الله ﷺ لا يحق له أن يتلأ في أداء الرسالة الالهية أو يخفيها كما في الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. فكيف يستطيع من هو دون مرتبة الرسول ﷺ أن يغض النظر عن النص الإلهي أو يخفيه؟

إن ربط الخلافة بالخليفة وعدم التفريق بينهما هو الذي مهد الطريق للرواة من الشيعة كما قلنا أن يدونوا ما شأؤوا في إبان عصر الصراع بين الشيعة والتشيع . ومع كل ذلك فإن فئة كبيرة من علماء المذهب الشيعي ذهبوا إلى تأويل بيعة الإمام بالتقية أو الخوف، أو أنه أرغم على أمر لا يعتقده خلاف إرادته.

والحقيقة أن في هذا التعليل تنقيص للإمام علي وشخصيته والظعن فيه بصورة غير مباشرة، وكذلك تحطيم لكل ما يتعلق بعصر الرسالة وصحابة الرسول ﷺ لأن فيه اتهام كبار صحابة رسول الله بالخروج عن أوامر الله الصريحة بادعاء أن الخلافة لعلي بنص إلهي ومخالفة الصحابة كلهم لهذا النص مع علمهم به ثم تصوير الامام علي في صورة رجل مدهن مغلوب على أمره كان مع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه طيلة خمسة وعشرين عاماً في ظاهر الأمر بصورة مستشار أمين وصديق حميم مطبأ في مدحهم، ولكنه في واقع الأمر مخالف لهم، وأنه زوج ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب وهو مرغم، وسمى أولاده أبا بكر وعمر وعثمان وهو غير راض عن تسميتهم، وهكذا دواليك.

وحتى أوائل القرن الرابع الهجري وهو عصر الغيبة الكبرى لا نجد أي أثر لفكرة اغتصاب الخلافة من الإمام علي أو أنها حق إلهي له وإنما هو الرأي بأنه الأولى بها، ثم تغيرت فكرة الأولوية إلى فكرة الخلافة الإلهية ومخالفة النص الإلهي.

ولا شك أن دخول الفلسفات اليونانية على الفكر العربي ولعبها دوراً كبيراً في تأسيس المدرستين الاعتزالية والأشعرية كان وراء الصراع بين الشيعة والتشيع وإظهار الشيعة بالمظهر الذي نحن عليه الآن. ولا شك أيضاً أن عرض الخلافة بالصورة التي عرضها علماء المذهب مستنديين على روايات رواة الشيعة كان سبباً لانزلال المذهب الشيعي عن سواه وابتعاده عن المذاهب الأخرى محتفظاً بحالة انعزالية وهجومية، بعيدة عن كل ألفة واتفاق مع فرق المسلمين الأخرى. وكان لا بد لبقاء المذهب محصوراً على الطائفة منعزلاً عن الفرق الأخرى من إيجاد حالة من التنافر تمنع كل تقارب في المستقبل، ولذلك أخذت الشيعة تسلك طريق تجريح الخلفاء الراشدين وذهمهم مستندة على الروايات التي وضعت على لسان أئمة الشيعة مخلفة وراءها من الخراب والدمار ما لا يحصيه إلا الله.

ونحن هنا نتحدث مع الشيعة بالمنطق الشيعي البحت، ونثبت أقوالاً للامام علي في حق الخلفاء الراشدين ثم نستشهد بما يقول الإمام عن نفسه ثم نسأل

أنفسنا: هل أن مثل هذا الإمام بايع الخلفاء وهو مرغوم، أو أنه خادع المسلمين في عمله والخلفاء في بيعته ، وهل أنه قال كلاماً لا يعتقدوه وعمل عملاً لا يؤمن به ؟ .  
أحقاً إن الشيعة تحب علياً وهي التي نسبت إليه مثل هذه الأمور أو إنها سلكت هذا الطريق الشائك حتى تثبت حقها في استلام السلطة وتأسيس الدولة ولو أدى ذلك إلى التضحية بسمعة علي وأصحابه وجلالة قدرهم وعظمة أنفسهم وعلو مقامهم؟ .

### د- أقوال الامام علي في الخلفاء الراشدين

لنستمع إلى الامام علي وهو يتحدث عن الخليفة عمر بن الخطاب: «لله بلاء عمر، فقد أحمده الفتنة وأقام السنة. ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته» (نهج البلاغة - ص ٢٢٢ ج ٢). ومرة أخرى يخاطب الخليفة عندما استشاره في الخروج إلى غزو الروم بنفسه : «إنك إن تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم بشخصك فتنكب، لاتكن للمسلمين كائفة دون أقصى بلادهم، وليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً مجرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فان أظهره الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت رداءً للناس ومثابة للمسلمين» (نهج البلاغة - ص ٢٨ ج ٢).

وهذا هو الامام علي يتحدث مع الخليفة عثمان بن عفان ويصفه بصفات الصحابي المقرب إلى رسول الله ﷺ:

«إن الناس ورائي وقد استنفروني بينك وبينهم والله ما أري ما أقول لك . ما أعرف شيئاً تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه. إنك لتعلم ما نعلم. وما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه . ولا خلونا بشيء فنبلغكه. وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله ﷺ كما صحبنا. وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك وأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ وشيعة رحم منهما. وقد نلت من صهره ما لم ينال» (نهج البلاغة ج ٢، ص ٤٨).

فإذا كان هذا هو موقف الامام من الخلفاء الراشدين فهل نستطيع أن نقول إنه

كان يظهر شيئاً ويضمّر شيئاً آخر؟ معاذ الله. إنه موقف صدق وإخلاص وإيمان من رجل هو مع الحق والصدق قبل كل الاعتبارات وبعدها. ولا بد أن أذكر أيضاً موقف الإمام علي من السيدة عائشة بعد موقعة الجمل فقد أحسن الإمام معاملة السيدة أم المؤمنين وأكرمها إكراماً يليق بزوجة الرسول ﷺ حينما أعادها من ساحة الحرب مصحوبة بعدد من النساء القرشيات.

أما الشيعة فلا تغفر للسيدة عائشة خروجها على الامام في تلك الحرب وهذا هو سبب موقفها المعارض لأم المؤمنين .

### هـ - أقوال أئمة الشيعة في الخلافة والخلفاء الراشدين

لو كانت الإمامة إلهية كما تذهب الشيعة وأنها في أولاد علي حتى الامام الثاني عشر لعين الامام ابنه الحسن خليفة وإماما من بعده ولكن الذي اتفق عليه الرواة والمؤرخون أن الامام عندما كان على فراش الموت وسئل عن الشخص الذي يخلفه قال : «أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ». وبعد وفاة الامام اجتمع المسلمون واختاروا ابنه الحسن وبايعوه خليفة للمسلمين ولكن الامام الحسن صالح معاوية وتنازل له عن الخلافة فيا ترى لو كانت الخلافة منصباً إلهياً هل كان للإمام علي أن يتردد في تولية ابنه؟ وهل كان للإمام الحسن التنازل عنها بذريعة حقن الدماء؟ إنه لا يمكن لحقن الدماء عندما يكون هناك تنفيذ لأمر الله وشريعته. وماذا يعني قتال المشركين ومانعي الزكاة من المسلمين لنصر دين الله؟. إن حقن الدماء أمام حق إلهي يتناقض مع هذه الآية الكريمة: ﴿إِن اللّٰهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَن لَّهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١].

والإمام الحسين عندما ثار يريد الاطاحة بخلافة يزيد بن معاوية واستشهد في كربلاء ومع أولاده وصحابته، لم يذكر قط بأنه يدافع عن خلافة سماوية اغتصبها يزيد بل كان يقول إنه أولى بالخلافة منه .

كما أننا لا نجد في أقوال الامام علي بن الحسين الملقب بالسجاد أية كلمة تدل على كون الخلافة إلهية . وبعد الامام السجاد يأتي الامام محمد الباقر فلا نجد أثراً لفكرة الخلافة الإلهية في عهده ولا في عهد أئمة الشيعة الآخرين حتى الغيبة الكبرى.

## التصحيح

١- إن موضوع الخلافة يجب أن لا يخرج عن إطاره الحقيقي الذي نصّ عليه في القرآن الكريم ، ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾، فعلى الشيعة أن تنظر إلى الخلفاء الراشدين وتعاملهم بنفس النظر والمعاملة التي أقرها الإمام علي نزولاً عند نص الوحي الإلهي وإجماع المسلمين، وتدرك أن الخلفاء الراشدين هم خير صحابة النبي ﷺ وهم جنود الاسلام الأوائل وقد اجتهدوا في مدة خلافتهم فأصابوا وأخطأوا و«كل ابن آدم خطاء»، وخدموا الاسلام ما استطاع كل واحد منهم الى ذلك سبيلاً.

فالخليفة الأول أبو بكر حفظ الإسلام من خطر الردة بحزمه وصبره ورأيه وعمله.

والخليفة الثاني عمر بن الخطاب أرسى قواعد الاسلام في بلاد واسعة شاسعة منها فارس وفلسطين والشام ومصر.

والخليفة الثالث عثمان بن عفان قال عنه النبي ﷺ : «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» وصاهر الرسول مرتين وكفاه فخراً أنه كان يملك ألفاً من حمر النعم باعها وصرف ثمنها في سبيل دعوة الرسول ﷺ وعلى المسلمين، وامتدت في عصره الفتوحات الاسلامية حتى وصلت إلى تخوم الهند.

ولا يجوز ترجيح الخلفاء ودمهم بالكلام البذيء الذي نجده في أكثر كتب الشيعة، الكلام الذي يغيّر كل الموازين الشرعية والأخلاقية ويناقض كلام الإمام علي في مدحهم وتمجيدهم كما أثبتناه قبل قليل. بل يجب على الشيعة أن تحترم الخلفاء الراشدين وتقدر منزلتهم من الرسول ﷺ، [فهم تلاميذه تربوا على يده صحبهم واصطفاهم وصاهرهم]. ولا أطلب من الشيعة في هذه الدعوة التصحيحية أن تقول وتعتقد في الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الامام علياً أكثر مما قاله الإمام عنهم. فلو التزمت الشيعة بعمل الامام علي لانتهى الخلاف وساد الأمة السلام.

٢- لا بد من غربلة الكتب الشيعية التي ذكرت روايات موضوعة عن أئمة الشيعة في ذم الخلفاء الراشدين وإعادة طبع تلك الكتب [بعد معالجتها بالعدل والإحسان].

٣- على الشيعة أن تعتقد جازمة أن كل الروايات التي ذكرتها كتب الشيعة في حق الخلفاء وفي وجود نصوص إلهية في موضوع الخلافة هي روايات وضعت بعد عصر الغيبة الكبرى وذلك بعد أن سدت الأبواب كلها في الوصول إلى آخر إمام للشيعة وهو المهدي ، فلذلك لا نجد أثراً للروايات الجارحة في حق الخلفاء الراشدين وموضوع النص الإلهي في الخلافة قبل نهاية عصر الإمام الحسن العسكري وهو الإمام الحادي عشر للشيعة الإمامية حيث كان باستطاعة الشيعة أن تتصل بالإمام مباشرة وتسأله عن صحة ما ينسب إلى آبائه الأئمة من الروايات. ولكن بعد الإعلان الرسمي عن غيبة الإمام الثاني عشر وتكذيب كل من ادعى رؤيته بعد الغيبة بنص صريح صدر منه وضع بعض الرواة روايات باسم أئمة الشيعة فكان ما كان من أحاديث تندى منها الجباه.

## التقية

إنني أعتقد جازماً أنه لا توجد أمة في العالم أذلت نفسها وأهانها بقدر ما أذلت الشيعة نفسها في قبولها فكرة التقية والعمل بها. وها أنا أدعو الله مخلصاً وأطلع إلى ذلك اليوم الذي تربأ الشيعة بنفسها حتى عن التفكير بالتقية، ناهيك عن العمل بها؟

من الصعب تصور معنى التقية بالمفهوم الشيعي الخالص كما وردت في الكتب الشيعية وتبناها بعض علماء المذهب الإمامي وساروا عليها منذ الغيبة الكبرى.

كيف تدعى الشيعة أنها من أنصار الإمام الحسين سبط النبي وهي تعمل بالتقية وتعتقد بها وترتضيها؟ ما هذا التناقض في معتقدات الشيعة إذ يعتقدون بأن سيرة أئمة الشيعة حجة، ثم يضربون بها عرض الحائط عندما يصل الأمر إلى التقية وإيجاب العمل بها. إن التقية تعني أن تقول شيئاً وتضمّر شيئاً آخر، أو تقوم بعمل عبادي أمام الآخرين وأنت لا تقرّه ثم تؤديه بالصورة التي تقرّها في بيتك. لقد كان أئمة الشيعة أبعد الناس عن التقية وأكثر الناس مقتاً لها وليس من المعقول أن لا يعمل أئمة الشيعة بالتقية وهم يأمرون أتباعهم وشيعتهم بالعمل بها. قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. إن سيرة الإمام علي وصراحته في الحق لا تحوجنا إلى دليل، أما ابنه الحسن وهو الامام الثاني للشيعة فكان أبعد الناس من التقية، وصلحه مع معاوية يشهد بذلك. فقد لاقى الإمام الحسن معارضة صريحة من كثير من شيعة أبيه الذين كانوا لا يريدون الصلح، حتى قيل: أن سليمان بن صرد وهو من كبار شيعة علي خاطب الإمام الحسن بقوله: «السلام عليك يا مذل المؤمنين».

والمعارضون للصلح كانوا أقوياء وأشداء ونال الإمام الحسن منهم الكثير، ولكن لم يفت كل ذلك في عضده وقاوم المعارضة مقاومة الأبطال؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين». الإمام الحسن ثار ضد يزيد ابن معاوية ولم يقبل نصح أولئك الذين نصحوه بالبقاء في مدينة الرسول وعدم السير إلى العراق. فهل في مثل هذه الثورة تجد الشيعة أثراً للتقية أو ما يمت إلى التقية بصلة؟

والامام الباقر وابنه الامام الصادق وهما أساس المدرسة الفقهية التي سميت باسم الفقه الجعفري وكان الإمامان يدرسان في المدينة في مسجد الرسول ﷺ ويدليان بآرائهما الفقهية وينشران مذهب أهل البيت بلا خوف ولا وجل. فالباقر عاصر

الخلافة الأموية والصادق عاصر نهاية الخلافة الأموية وبداية الخلافة العباسية وكانت الخلافة الأموية والعباسية على اختلاف مع الإمامين ولا ترتضي بمدرسة أهل البيت الفقهية، ولكن الامامين أديا الرسالة غير متهيئين من السلطة التي كانت على خلاف معهما.

والإمام موسى بن جعفر لم يكن على وفاق مع الخليفة العباسي هارون الرشيد وقضى سنوات في سجن الخليفة ببغداد. فلو كان موسى بن جعفر يسلك طريق التقية ويخادع الخليفة الذي تربطه به صلة القرى لما حدث له ما حدث.

وعندما آلت الخلافة إلى المأمون العباسي عين الإمام علي بن موسى الملقب بالرضا ولياً للعهد، وعلي الرضا هو الإمام الثامن للشيعة الإمامية، غير أن الإمام قضي نحبه في عهد المأمون واستمرت الخلافة في العباسيين. وبعد وفاة الإمام الرضا زوج الخليفة المأمون العباسي ابنته أم الفضل لابن الرضا محمد الجواد لكي لا تنقطع المودة بين الخليفة العباسي والبيت العلوي. وهذان الإمامان الأب والابن اللذان كان أحدهما ولياً للعهد والآخر صهراً للخليفة لم يطلبوا من الشيعة أن يتخذوا التقية وسيلة لمآربهم.

وعلي وابنه الحسن العسكري الامام العاشر والحادي عشر للشيعة سكنوا عاصمة الخلافة العباسية وعاصروا عهد المتوكل وابنه المعتصم ، وكان بيت الإمامين موثلاً للزوار وكانا يقومان بشؤون المسلمين الدينية ونشر مذهب أهل البيت. ومن يتابع حياة هذين الإمامين يعلم أنهما كانا من أبعد الناس عن التقية أيضاً ومع أن عيون الخلفاء كانت تراقب حركاتهما ودعواتهما إلى مذهب أهل البيت التي كانت في الحقيقة معارضة للخلافة العباسية إلا أن الإمامين لم يباليا بذلك وسلكا طريق الجهر بالحق في أداء رسالتهم.

لقد أوردنا هذه الخلاصة من حياة أئمة الشيعة لنثبت أن فكرة التقية التي ظهرت بالمفهوم الشيعي الخاص إنما ظهرت في أواسط القرن الرابع الهجري وهو بعد الاعلان عن غيبة الإمام الثاني عشر وأنها ظهرت في مستهل عصر الانحراف أو الصراع بين الشيعة والتشيع عندما أرادت الزعامات الشيعية السياسية أن تتخذ العمل السري وسيلة للقضاء على الخلافة العباسية الحاكمة، فأضافت فكرة النص الإلهي كما قلنا إلى الخلافة وأظهرت التقية بمظهر الواجب الشرعي الذي يجب أن يتبعه كل من له عقيدة دينية ويخشى أن يجهر بها أمام السلطة الحاكمة أو الأكثرية المسلمة.



وهكذا أخذت التقية تسري في الفكر الشيعي والعمل الشيعي طيلة قرون عديدة وأخذت طابعاً حزيناً في تكوين الشخصية الشيعية. وإنني لا أشك في أن التقية كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى التخلف الفكري والاجتماعي والسياسي للمجتمعات الشيعية أينما وجدت، فقد سرت في دماهم ومنعتهم من الظهور بالمظهر الذي كانوا عليه خوفاً أو خجلاً. وحتى في إيران القطر الشيعي والسلطة الحاكمة شيعية خالصة كان الشعب الإيراني يسلك طريق التقية واجباً دينياً لمواجهة بطش السلطان واستبداده فيضم له بالقلب ما يناقضه في العلن، وهكذا تميز الشعب الإيراني الشيعي كسائر نظرائه من الشيعة بازدواجية الشخصية.

وإنني لا أشك في أن التقية قاتلها الله لعبت دوراً كبيراً في إبقاء الشيعة بعيدة عن الفرق الإسلامية الأخرى كما أنها تسببت في رميها بأمر عجيبة وغريبة ما أنزل الله بها من سلطان وهي بريئة منها. ولكن الدفاع عن تلك الاتهامات والأوهام لاقي صعوبة بالغة بسبب اشتهار الشيعة بالتقية ورميهم باخفاء الحقيقة في كل شيء.

وفي الوقت الذي أكتب فيه هذه السطور وفي عهد وطأت أقدام الانسان على سطح القمر وانتشرت الحرية الفكرية يعيش المجتمع الشيعي مغلقاً على نفسه بالتقية فيظهر شيئاً ويطن شيئاً آخر. فلا أعتقد أنه يوجد زعيم شيعي واحد في شرق الأرض وغربها يستطيع أن يعلن رأيه حتى في كثير من البدع التي ألصقت بالمذهب الشيعي خوفاً ورهبة من الجماهير الشيعية التي دربتها الزعامات تلك على العمل بتلك البدع فأصبحت جزءاً من كيائها.

إن على الشيعة أن تجعل نصب أعينها تلك القاعدة الأخلاقية التي فرضها الاسلام على المسلمين وهي أن المسلم لا يخادع ولا يدهن ولا يعمل إلا الحق ولا يقول إلا الحق ولو كان عليه.

وليعلموا أيضاً أن ما نُسب إلى الإمام الصادق من أنه قال : «التقية ديني ودين آبائي» إن هو إلا كذب وزور وبهتان على ذلك الامام العظيم.



## الإمام المهدي

إن عقيدة ظهور رجل من آل محمد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً عقيدة صحيحة ومليئة بالأمال الخيرة. ولكن علماء الشيعة ألصقوا بالإمام المهدي بدعتان أثقلتا كاهل الشيعة في كل زمان ومكان: بدعة الخمس في أرباح المكاسب وبدعة ولاية الفقيه، فالأولى: تعني دفع ضريبة مالية ما أنزل الله بها من سلطان، والثانية: تعني عبودية الإنسان للإنسان بلا قيد ولا شرط.

تعتقد الشيعة الإمامية أن الامام الحسن العسكري وهو الإمام الحادي عشر للشيعة عندما توفي عام (٢٦٠) كان له ولد يسمى محمد له من العمر خمس سنوات وأنه المهدي المنتظر. وهناك روايات أخرى تقول أن المهدي ولد بعد وفاة والده الإمام العسكري. ومهما كان الأمر فإن الروايات تذكر أن المهدي تسلم منصب الامامة بعد والده وبنص منه وبقي مختفياً عن الأنظار طيلة خمس وستين سنة. وكانت الشيعة تتصل به في هذه الفترة عن طريق نواب عينوا لهذا الغرض، هم: عثمان بن سعيد العمري وابنه محمد بن عثمان وحسين بن روح وآخرهم علي بن محمد السيمري.

وهؤلاء النواب الأربعة لقبوا بالنواب الخاصون، والفترة هذه تسمى بعصر الغيبة الصغرى. وفي عام (٣٢٩) وقبيل وفاة علي بن محمد السيمري آخر النواب بشهور قليلة وصلت رقعة إليه بتوقيع الإمام المهدي جاء فيها: «لقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله ، فمن ادعى رؤيتي فهو كذاب مفتر».

وهذا العام هو بداية ما يسمى الغيبة الكبرى . ومنذ ذلك الحين انقطع اتصال الشيعة بالإمام بصورة مباشرة وغير مباشرة، وحتى إذا ادعى أحد ذلك فالشيعة تكذبه بسبب النص الوارد في آخر خطاب ورد إليهم من الإمام المهدي.. هذه هي خلاصة عقيدة الشيعة الإمامية في المهدي المنتظر، ولا تزال الشيعة في كل عام وفي يوم الخامس عشر من شهر شعبان تحتفل بولادة المهدي احتفالاً كبيراً، وهو الامام الوحيد الذي تحتفل الشيعة بيوم ولادته فقط أما الأئمة الآخرون فتكون الاحتفالات في أيام مولدهم ووفاتهم على السواء .

وعقيدة المهدي وظهور قائد في آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن

ملئت ظلماً وجوراً موجودة في كثير من الأديان. وهناك أحاديث روتها كتب السنة عن النبي الكريم ﷺ حول ظهور مهدي من ولده في آخر الزمان ولكن ليس على وجه التعيين<sup>(١)</sup>.

أما الشيعة فتستند إلى روايات نسبت إلى أئمتها بأن المهدي المنتظر الذي أخبر به الرسول الكريم ﷺ إنما هو ابن الامام الحسن العسكري.

ولو أن الاعتقاد بوجود المهدي بقي محصوراً في الايمان بإمام من نسل رسول الله ﷺ يظهر في يوم ما ويملاً الأرض عدلاً لكان المسلمون بخير، ولكن مع الأسف الشديد أن فقهاء المذهب الجعفري ألصقوا بالمهدي بدعتان ضالتان ألصقتا بالمذهب الشيعي في عهد الانحراف وظهور الصراع بين الشيعة والتشيع، وهما تتناقضان مع نصوص القرآن الكريم وسيرة الرسول ﷺ وعمل الامام علي والأئمة من بعده، البدعة الأولى: تفسير الخمس بأرباح المكاسب، والبدعة الثانية: ولاية الفقيه.

إن الزعامات المذهبية التي تولت أمور الشيعة الدينية بعد الغيبة الكبرى ولا زالت هي المسكة بزمام العقيدة الشيعية حتى هذا اليوم كانت وراء هاتين البدعتين. أما الخمس، فيكاد يكون من المتفق عليه عند علماء المذهب الشيعي أنه يشمل أرباح المكاسب والغنائم معاً. إلا أن تفسير الغنيمة بأرباح المكاسب ظهر بعد الغيبة الكبرى بقرن ونصف في الكتب الشيعية. أما ولاية الفقيه فهناك من علماء المذهب من عارضها ولكن لها أنصارها. إلا أن المجمع عليه عندهم أن نوعاً من الولاية التي تشبه صلاحية القضاة في تعيين الوصي على المجنون والقاصر من صلاحيات المجتهدين.

## الاجتهاد والتقليد

يستند علماء الشيعة الإمامية في فتح باب الاجتهاد على مرسومين يقال أنهما صدرتا عن الامام المهدي قبيل غيبته، والمرسومان وإن كانا يختلفان في المضمون إلا

١- ذكر الترمذي في جامعه أن النبي ﷺ قال:

«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي». وفي مسند أحمد بن حنبل عن النبي ﷺ: «لا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي».

أنهما يتفقان في المفهوم وهما:

١- المرسوم الأول: «وأما من الفقهاء من كان صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه».

٢- المرسوم الثاني: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا إلى رواة أحاديثنا».

وبعد الغيبة الكبرى تصدى لشؤون الشيعة الدينية علماء المذهب متتابعين، ولم تنقطع القيادة المذهبية بين المجتهدين والعامّة وإن شئت قل بين القاعدة والقمة حتى كتابة هذه السطور وذلك بسبب فتح باب الاجتهاد ووجوب تقليد العوام لرأي المجتهدين. أما طائفة السنة فسدت هذا الباب لصعوبات بالغة تعترض العمل الاستنباطي، إلا السلفية منهم ففقهاء السلفية يجتهدون في الفروع الفقهية التي لا نص فيها وتخضع لأدلة الاستنباط من الكتب والسنة والاجماع والقياس. أما علماء الشيعة فاستبدلوا القياس بالدليل العقلي واتخذوه الأصل الرابع من أصول الاستنباط. ومن أغرب الأمور أن فقهاء الشيعة ينسبون أنفسهم إلى المذهب العقلي في استنباط الاحكام الشرعية، وهم يسلمون بلا جدل ولا نقاش براويات نسبت إلى أئمة الشيعة وهي تتناقض مع العقل.

### الخمس

قال الله تعالى: ﴿واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل...﴾ [الانفال: ٤١].

يقول فضل بن الحسن الطبرسي وهو من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس الهجري في تفسير هذه الآية الكريمة:

«اختلف العلماء في كيفية قسمة الخمس ومن يستحقه على أقوال، أحدهما: ما ذهب إليه أصحابنا وهو أن الخمس يقسم على ستة أسهم: سهم لله وسهم للرسول ﷺ، وهذان السهمان مع سهم ذي القربى للإمام القائم مقام الرسول ﷺ، وسهم ليتامى آل محمد، وسهم لمساكينهم، وسهم لأبناء سبيلهم لا يشاركهم في ذلك غيرهم لأن الله سبحانه حرم عليهم الصدقات لكونها أوساخ الناس وعروضهم من ذلك بالخمس... وقال أصحابنا إن الخمس واجب في كل

فائدة تحصل للانسان من المكاسب وأرباح التجارة وفي الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك مما هو مذكور في الكتب. ويمكن أن يستدل على ذلك بهذه الآية<sup>(١)</sup>.

إن تفسير الغنيمة بالأرباح من الأمور التي لا نجد لها إلا عند فقهاء الشيعة فالآية صريحة بأن الخمس شرع في غنائم الحرب وليس في أرباح المكاسب وأظهر دليل قاطع على ذلك سيرة النبي الكريم ﷺ وسيرة الخلفاء من بعده ومنهم الامام علي. ولم يذكر أرباب السير من الشيعة الذين كتبوا سيرة النبي الكريم ﷺ ودونوا كل صغيرة وكبيرة عن أوامره ونواهيه أن الرسول ﷺ كان يرسل جباته الى أسواق المدينة ليستخرج من أموالهم خمس الأرباح مع أن أرباب السير يذكرون حتى أسامي الجباة الذين كان الرسول ﷺ يرسلهم لاستخراج الزكاة من أموال المسلمين. والذين أرخوا حياة الخلفاء الراشدين لم يذكروا قط أن أحداً منهم كان يطالب الناس بخمس الأرباح أو أنهم أرسلوا جباة لأخذ الخمس. وحياة الامام علي معروفة في الكوفة فلم يحدث قط أن الامام بعث الجباة إلى أسواق الكوفة ليأخذوا الخمس من الناس أو أنه طلب من عماله في أرجاء البلاد الواسعة التي كانت تحت إمرته أن يأخذوا الخمس من الناس ويرسلوها إلى بيت المال. كما أن مؤرخي حياة الأئمة لم يذكروا قط أنهم الأئمة يطالبون الناس بالخمس أو أن أحداً قدم إليهم مالا بهذا الاسم.

وكما قلنا قبل قليل إن هذه البدعة ظهرت في المجتمع الشيعي في أواخر القرن الخامس الهجري فمنذ الغيبة الكبرى إلى أواخر القرن الخامس لا نجد في الكتب الفقهية الشيعية باباً للخمس أو إشارة إلى شمول الخمس في الغنائم والأرباح معاً. وهذا هو محمد ابن الحسن الطوسي من أكابر فقهاء الشيعة في أوائل القرن الخامس وهو مؤسس الحوزة الدينية في النجف، لم يذكر في كتبه الفقهية المعروفة شيئاً عن هذا الموضوع مع أنه لم يترك صغيرة أو كبيرة من المسائل الفقهية إلا وذكرها في تأليفه الضخمة.

لقد سنت هذه السنة السيئة في عصر كانت فيه الخلافة العباسية والسلطة الحاكمة لا تعتقد بشرعية مذهب أهل البيت وبالنتيجة لا تعترف بفقهاءهم لكي

١- الطبرسي مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٥٤٣.

تخصص لهم مراتب يعيشون منها كما كانت تفعل لسائر فقهاء المذاهب الأخرى. ولم تكن الشيعة حتى ذلك التاريخ متماسكة بالمعنى المذهبي حتى تقوم باعالة فقائها، فكان تفسير الغنيمة بالأرباح خيراً ضماناً لمعالجة النقص المالي الذي كان يقلق حياة فقهاء الشيعة وطلاب العلوم الدينية الشيعية آنذاك.

وبعض فقهاء الشيعة ومن بينهم الفقيه أحمد الأردبيلي وهو من أبرز فقهاء عصره أفتوا بعدم جواز التصرف بالخمس في عهد الغيبة الكبرى. كما أن بعض فقهاء الشيعة وهم قليلون أفتوا بأن الخمس ساقط عن الشيعة مستندين على رواية عن الامام المهدي أنه قال: «أبحننا الخمس لشيعتنا».

والواجب أن يترفع الفقهاء والمجتهدون عن أموال الشيعة ولا يرتضون لأنفسهم أن يكونوا عالة على الناس بذريعة ما أنزل الله بها من سلطان.

### ولاية الفقيه

ولاية الفقيه بدعة أضيفت إلى سلطة علماء الشيعة، وهي فكرة حلولية دخلت على علماء الشيعة من الفكر المسيحي القائل بأن الله تجسد في الحبر الأعظم وقد دخلت هذه البدعة إلى الفكر الشيعي بعد الغيبة الكبرى وأخذت طابعاً عقائدياً عندما قرّر علماء الشيعة أنّ الامامة منصب إلهي أنيط بالامام خليفة لرسول الله ﷺ. وبما أن الإمام حيّ ولكنه غائب عن الأنظار ولم يفقد سلطته الإلهية بسبب غيبته فإن هذه السلطة تنتقل منه إلى نوابه لأن النائب يقوم مقام المنوب عنه في كل شيء.

وهكذا أخذت فكرة ولاية الفقيه تشغل حيزاً كبيراً في أفكار فقهاء الشيعة، غير أن كثيراً منهم أنكروا الولاية بالمعنى الذي تقدم ذكره وقالوا إن الولاية خاصة بالرسول ﷺ والأئمة الاثني عشر من بعده ولا تنتقل إلى نواب الإمام، وإن ولاية الفقيه لا تعني أكثر من ولاية القاضي الذي يستطيع تعيين أمين على وقف لا متولي له أو نصب قيم على مجنون أو قاصر. ويبدو أن فكرة ولاية الفقيه مع تبني بعض فقهاء الشيعة لها لم تجد الفرصة المواتية للخروج من حيز الفكر إلى حيز العمل إلا بعد أن استلم السلطة في إيران الشاه اسماعيل الصفوي وهو عصر الصراع الثاني بين الشيعة والتشيع.

وهذا المذهب الجديد الذي أملاه الشاه على الشعب الإيراني أعطى تماسكاً قوياً للإيرانيين وقضى على كل الآمال التي كانت تراود الخليفة العثماني لضم إيران إلى خلافته، وفي حين أن الشاه كان يرى نفسه قطباً صوفياً وملكاً أسس للشيعة مجدداً لم يؤسس أحد مثله من قبل إلا أنه استغل فكرة ولاية الفقيه وطلب من علي بن عبد العال الكركي العاملي كبير علماء الشيعة بجبل عامل بلبنان أن يحكم له دعائم السياسة والملك ويشرع له الجلوس على كرسي الملك والحكم باسم الولاية العامة التي هي من صلاحيات الفقيه، ولا زالت الكتب التاريخية تحتفظ بالنصوص الواردة في إجازة الكركي للشاه.

ومن كل ما أسلفناه يظهر بوضوح أن فكرة ولاية الفقيه كانت موجودة في الفكر الشيعي وعليها كانت تبنى فكرة عدم شرعية الخلافة الإسلامية أو أية حكومة أخرى إلا إذا أجازها الفقيه الذي يمثل الامام الحلي الغائب.

ومنذ أن أدخل الشاه اسماعيل الصفوي الإيراني في المذهب الشيعي صار للزعامة المذهبية الشيعية نفوذ واسع في إيران يحظى باحترام عظيم من قبل الملوك والحكام. إلا أنه كان يحدث في بعض الأحيان صراع بينهما ينتهي بانتصار أحدهما على الآخر.

وفي تاريخنا المعاصر وهو العصر الثالث للصراع بين الشيعة والتشيع بدأت ولاية الفقيه تظهر على مسارح الأحداث في البلاد الشيعية بصورة حادة وعنيفة أخذت تعصف بكل القيم الدينية والانسانية على السواء.

إن أساس النظرية لدى فقهاء الشيعة يرتكز على الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

ويقول علماء الشيعة إن المقصود من أولي الأمر في الآية الكريمة إنما هو الخليفة أو الامام الشرعي الذي هو الامام علي ومن بعده أولاده حتى الامام المهدي، وفي غيبة الامام المهدي تكون الولاية للفقهاء المجتهدين الذين يحلون محل الامام وهم النواب العامون. وإن من يقرأ هذه الآية الكريمة كاملة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فإن تنازعتهم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴿يَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ طَاعَةَ أُولِي الْأَمْرِ تَخْتَلَفُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ﴾



وأنها طاعة محددة وفي نطاق صلاحيات أنيطت بالوالي حسب طبيعة عمله وأن الحكم فيما تنازع فيه العلماء ليس له كما تنص الآية، الأمر الذي يفقده صلاحية الولاية المطلقة.

وإذا تبين هذا فكيف يستدل الشيعة بهذه الآية على ولاية الفقيه وإعطائه حق التحكم المطلق في شؤون المسلمين السياسية والاقتصادية والعسكرية، الدينية والدينيوية؟، فإذا كان لا يحق لولي الأمر الفصل فيما حصل فيه التنازع حسب هواه، فهل يمكن القول إن نائب ولي الأمر يتمتع بحقوق أكثر منه؟

وفي إيران وهي مهد ولاية الفقيه في التاريخ المعاصر الذي وصفناه بعصر الصراع الثالث بين الشيعة والتشيع استطاعت ولاية الفقيه أن تحتل الصدارة في الدستور الإيراني الجديد وتحتل أهم المواقع الأساسية منه، كما استطاعت أن تسيطر على السلطة المطلقة في البلاد. ولكن مع كل هذا لم يستطع حماة الدستور حل التناقضات الصارخة بين التطبيقات العملية وبين النظرية الفقهية، ولذلك أصبحت النظرية مهلهلة ضعيفة بجانب القوة المادية الهائلة التي تساندها، ولعل من أولى هذه المفارقات والتناقضات الصارخة التي يتساءل الناس عنها في كل مكان: هل ولاية الفقيه منصب ديني أم سياسي؟ فإذا كانت منصباً دينياً لا يخضع للشورى ولا يخضع للعزل فكل من بلغ مرتبة الفقيه اتصف بصفة الولاية وشملته الحصانة ووجب على المسلمين طاعة أوامره والرضوخ لولايته، فكيف حدث أن فقهاء نكبوا وأهينوا وسجنوا وشرّدوا بسبب مواقفهم الفكرية أو السياسية من سلطان الفقيه الحاكم. أما إذا كانت ولاية الفقيه منصباً سياسياً فلماذا ربط بالدين وبالمدىب وظهر في مظهر العقيدة؟

### التصحيح:

لو استطاعت الشيعة العمل بالمنهج التصحيحي المقترح للخلاص من هذه البدع الثلاث التي مرّ ذكرها لسلكت طريق الشرع والعدل وأراحت نفسها من قيود بشرية غير مشروعة، وهي:

## أولاً : التقليد

وهو الأخذ برأي المجتهد والعمل عليه في أحكام الشريعة، والأكثرية الغالبة من الشيعة تعود إلى المجتهدين في المسائل الشرعية وقلما يوجد بيت لا توجد فيه رسالة من الرسائل الفقهية التي ألفها المجتهدون لعوام الناس مثل: (ذخيرة الصالحين) و(صراط النجاة) و (ذخيرة العباد)، وإن المتبع لهذه الرسائل يجد في أول صفحة منها هذه العبارة: «يجب على كل مكلف عاقل أن يكون مجتهداً أو مقلداً أو محتاطاً أي عارفاً بموارد الاحتياط. وعمل العامي في الفروع من غير تقليد باطل عاطل».

وتعني هذه النظرية التي أجمع عليها فقهاء الإمامية منذ الغيبة الكبرى حتى هذا اليوم أن الذي يعمل بالاحتياط هو في حلّ من التقليد. والعمل الاحتياطي يعني أن يعلم المكلف موارد الاختلاف في المسائل الفرعية ويختار الأقرب منها إلى الصواب. أما في أصول العقيدة فلا يجوز التقليد بل يجب أن يكون المسلم مؤمناً بها عن بصيرة ودراية.

والحل الذي نعرضه على الشيعة هو أن يعملوا بالاحتياط، فليس في العمل الاحتياطي أي خروج على المذهب أو مغايرة لاجماع فقهاء الشيعة الأمر الذي يسد على الفقهاء أبواب حث الشيعة على النهوض ضد التصحيح أو تخويفهم بعذاب الله في يوم القيامة.

أما إذا حدثت مسائل لم تتطرق إليها أبواب الفقه من قبل فحينئذ يمكن استشارة المجتهدين لحلها.

## الثاني : الخمس

لقد وقع فقهاء الامامية في مأزق عندما قالوا إن نصف الخمس يجب أن يعطى للمجتهد الذي يقلده الشيعي العامي والنصف الآخر يقسم على الفقراء الهاشميين واليتامى وأبناء السبيل منهم، فقد غاب عنهم أن هذا الحكم الخاص بالمقلد يهمل المحتاط الذي لم يأخذ برأي فقيه واحد، فهل الخمس ساقط عنه أم أنه يستطيع التصرف فيه كما يشاء.

ومن هنا يتبين أن بدعة الخمس مع إصرار فقهاء الشيعة عليها لم تكن دقيقة وفيها فجوات تؤكد بطلانها، وأنها تخالف سنة الرسول والخلفاء الراشدين وأئمة الشيعة؛ لأن الخمس في الإسلام هو الخمس في الغنائم ولم يكن في أرباح التجارة والمكاسب قط.

ومن هنا أطالب الشيعة في هذه الرسالة التصحيحية وأحثهم على أن لا يدفعوا هذه الضريبة التي لم ينزل الله بها من سلطان لأي فقيه وتحت أي غطاء. وعضاً عن ذلك أحثهم على المساهمة في الأمور الخيرية ومساعدة الفقراء والمؤسسات العامة والعلمية مباشرة بلا وسيط. وإذا أرادت الشيعة أن تساعد المحتاجين من علماء الدين فهذا حسن ولكن على أن تكون مساعدة شخصية لقضاء مآربهم الخاصة لا ليكونوا وسطاء جبريين في توزيع الأموال على الغير كما هو شأنهم حتى كتابة هذه السطور.

### الثالث: ولاية الفقيه

ولا أعتقد أننا بحاجة لتكرار الطلب من الشيعة أن ترفض هذه البدعة من أساسها وتقف ضدها فالفكرة مخالفة لشرع الله في آيات القرآن وفعل الرسول وفقه الأئمة السابقين.



## الغلو

قال الله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].  
عندما يميز الله أحداً من خلقه بالعلم والعمل به؛ فهو في غنى عن الخرافات والأوهام التي تنسج حوله وتشوه صورته الوضاعة .

### الغلو النظري

هناك مظاهر كثيرة للغلو تبدأ بالغلو النظري وتنتهي بالغلو العملي . والغلو النظري بكل اختصار اعتقاد الانسان أن إنساناً آخر قادر على الاتيان بكرامات أو أمور خارقة لا يستطيع الإتيان بها عامة الناس .  
كما أن الاعتقاد بتأثير إنسان - حياً كان ذلك الانسان أو ميتاً- في حياة الآخرين خيراً أو شراً، في الدنيا أو الآخرة، مظهر من مظاهر الغلو .

والغلو النظري المسطور في كتب الروايات والأحاديث ونسبة الأمور العجيبة والخارقة إلى الأئمة والأولياء والمشايخ كانت السبب في تنمية الغلو العملي وما يصدر من عامة الناس في مقابر الأئمة والأولياء والمشايخ في إظهار العبودية وتقديم النذور وطلب المدد المباشر منهم، وأمور أخرى لا تعد ولا تحصى لا يجوز أن يقصد بها غير الله .

وفكرة الغلو تحتل قلوب كثير من المسلمين وغير المسلمين، وتشارك الفرق الأخرى الشيعة في غلوهم في الأئمة والأولياء نستثني منهم (السلفيين) من أهل السنّة الذين هداهم الله إلى تحطيم القيود التي قيدت معتقدات الناس وعباداتهم منذ قوم نوح .

غير أن الشيعة سبقت فرق المسلمين في الغلو كثيراً، ويعود هذا الاسراف في الغلو إلى كتب الروايات التي لم يجرؤ أحد من الفقهاء على تصحيحها . فقد ذكرت كتب الشيعة قصصاً في معجزات الأئمة وفي كراماتهم لا تقل عن تلك التي نجدتها في كتب روايات الفرق الأخرى عن الأقطاب والقديسين والأولياء وشيوخ الصوفية .

